التعذيب في سجون الحرية

الدكتور راغب السرجاني

مقدمة

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهدِ الله فلا مضل لـــه، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله الله وحـــده لا شـــريك لـــه وأشهد أن محمد عبده ورسوله.. أما بعد..

فعلى الرغم من الحرص الطبيعي لدى أي إنسان على عدم تذكُّر ما يؤذي نفسه، أو يجرح كرامته.. إلا أن هناك ظروفًا يتحـــتَّم فيهـــا الوقوف أمام الانكسارات والجراح لفهم العلة وراء وقوعها, ومن ثَمَّ القدرة على علاجها, والوقاية منها مستقبلاً.

ومن هنا.. ستدور هذه الصفحات حول فضيحة.. آلمت قلوب

الأحرار في كل مكان – مسلمين وغير مسلمين - , وخدشت الحياء في كل قلب سمع بها أو رأى مظاهرها.. إنها فضيحة تعذيب السجناء العراقيين في سجون الحرية الأمريكية! والديمقراطية الأمريكية! والعدالة الأمريكية!!!

لقد كانت فضيحة قذرة بكل المقاييس.. تعجب لها الكثيرون, وأُحبط منها كثيرون, بل وبررها بعضهم!!

ولكنني – أصدقكم القول - ما تعجبت منها أبدًا ، بل على العكس لو لم يحدث هذا الأمر من التعذيب والإذلال والقهر والبطش.. لو لم يحدث كل هذا لتعجبت.. الأصل أن يحدث هذا، لا بد أن نعلم جيدًا أن أي قوة في أي مكان أو في أي زمان تُجَرَّدُ من الدين لابد أن تكون بهذه الصورة.. وهذه سنَّة ماضية.

وليست أمريكا بدعًا من الأمم:

- فحروب الرومان لم تختلف كثيرًا عن حروب أمريكا..
- وحروب الفرس لم تختلف كثيرًا عن حروب أمريكا..
- كذلك حروب إنجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وغيرها... لم تختلف كثيرًا عن حروب أمريكا!!

ومن يقرأ عن التاريخ الأخلاقي والفكري والديني والتربوي للجيش الأمريكي لابد أن يتوقع أمرًا كهذا..

لكن قبل أن نحلل تاريخ الجيش الأمريكي، والعوامل النفسية للجنود الأمريكان أريد أن ألفت الأنظار إلى ما هو أهم و أخطر من قضية صور الأسرى العراقيين المعذبين.. وقد يقول قائل: وهل هناك ما هو أبشع من تعذيب البشر, وامتهان الإنسانية, وإذلال الأسرى؟! أقول: نعم يا إخوان.. هناك ما هو أبشع!! هناك الجريمة الكبرى والجناية العظمى!! إن هذا التعذيب للأسرى على بشاعته هو جزء يسيرٌ جدًا من الجريمة الكبرى: "جريمة احتلال العراق", ونهب مقدرات دولة بكاملها, وامتهان شعب بأسره، وعدم الاكتراث بأمة ضخمة جدًا, واحتقارها مع أنها أمة هائلة تجاوز تعدادها مليار إنسان!

لا شك أن جريمة تعذيب الأسرى جريمة كبيرة جدًا ،لكن الجريمة الكبرى لا يجب أن تنسى؛ لا يجب أن ينسى المسلمون أبدًا أن العراق محتل ومدنس وممتهن بكامله، ليس فقط المئات أو الآلاف من العراقيين في السجون الأمريكية.. ولكن ملايين العراقيين: أكثر من 24 مليون عراقي!! يعانون الآن جميعًا من الإذلال والبطش والقهر، وهم أسرى داخل حدود العراق, مُعذَّبون داخل حدود العراق!!

هذا أمر لا يجب أن يُنسى أبدًا, وإلا شاهدنا من يخرج علينا ويقول: نريد احتلالاً بلا تعذيب!! وتغدو القضية الأساسية التي يريدون منا أن ننشغل بها هي حسن معاملة الأسرى!! ومعاقبة

معذِّبيهم!! أما أمر الاحتلال فيصبح واقعًا ليس قابلاً للنقاش أو المجادلة أو الرفض!!

علينا إذن أن ندرك حقيقتين على قدر كبير من الأهمية:

1. القضية الأهم والمأساة الكبرى هي احتلال العراق وضياع مقدَّراته وإهدار كرامته بالكلية، وهذه المأساة قائمة ومريرة حتى لو بقي العراقيون جميعًا في بيوتهم دون عذاب جسدي مباشر يمس أحدًا منهم (أي: حتى لو كان المحتلون مهذَّبين في تعاملهم مع الأهالي!!)
2. إن أعداء الأمة قد يستغلون قضيةً ما لإلهائنا عن القضايا الرئيسية والمشاكل الحقيقية؛ حتى نتقبل ما يسمونه (الأمر الواقع) مع قليل من التحسين والتجميل..

بعد أن نعرف هذا يقينًا.. علينا أن نحلل مسألة التعذيب تلك.. ونحن هنا بصدد الإجابة عن أسئلة ثلاثة هامة جدًا هي: ــ

أولاً: ما الدوافع الأساسية التي حفزت الجندي الأمريكي ودفعته إلى هذا السلوك المشين؟

(هل هذا الأمر طبيعي بالنسبة للجندي الأمريكي؟ أم أنه مخالف للطبيعة الأمريكية ؟؟)

ثانيًا: لماذا ظهرت الصور في ذلك الوقت الذي ظهرت فيه؟ مع أنه تم التقاطها قبل ستة أشهر من ظهورها؟؟ وبعضها تم التقاطه قبل عام كامل؟؟

ثالثًا: ما هو دور الشعوب المسلمة في هذه الأزمة التي تمر بها الأمة؟؟

حول الإجابة عن هذه الأسئلة تدور الصفحات القادمة..

ونسأل الله أن يرفع الكرب عن أمتنا، وأن يُعزَّ الإسلام والمسلمين..

طبيعة الجندي الأمريكي

- ما الخلفيات و الدوافع النفسية التي دفعت الجيش الأمريكي للقيام بهذه الفظائع؟؟
- هل هذه هي المرة الأولى التي يمارس فيها ذلك الجيش مثل هذه الأمور؟؟
- .. أم أن الأمريكان قد اعتادوا على هذه الطريقة في تعاملهم مع أسْرَاهُم؟؟!...

إذا نظرنا في تاريخ الجيوش الأمريكية (وتاريخ أمريكا ليس بالتاريخ العريق أو الطويل، وليس لها جذور حضارية ترتكز عليها أصلاً؛ إن تاريخها كله لا يتعدى 250 سنة!) سنجد أن الولايات

المتحدة قامت عام 1779م، من خلال مجموعات من الأوروبيين, هاجرت من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرها... هربًا من اضطهاد الكاثوليك للبروتستانت في أوروبا.. هاجر هؤلاء إلى أمريكا.. وهناك وجدوا شعبًا بدائيًا هم الهنود الحمر - كما أسموهم - فماذا فعلوا بهم؟؟ ماذا فعل أولئك الوافدون الأغراب على شعب كبير ضخم، عاش واستوطن هذه الأرض منذ القدم؟؟! ماذا فعل هؤلاء (المتدينون) البروتستانت ، الهاربون من طغيان (الكاثوليك)؟؟

لقد قرروا - بكل بساطة - الاستيلاء على هذه الأرض الجديدة (أمريكا)!

فماذا سيفعلون بشعبها الأصلي؟

الإجابة بكل بساطة: (البقاء للأقوى) وللأظلم وللأبشع!!..

بدأت سلاسل من الإبادة والقهر للشعب الهندي لأحمر!! وبدأت عمليات المذابح الجماعية، لا فرق فيها بين مدني و محارب! لا فرق بين رجل وامرأة، أو بين كبير وصغير.. المسألة بالنسبة للمهاجرين الأوربيين الجدد المتدينين: مسألة حياة أو موت!! لا قوانين.. لا قواعد!! إبادة لكل شيء، سياسة الأرض المحروقة.. لا يبقى على بشر ولا شجر..

ترى كم بقي من الهنود الحمر بعد هذه السلاسل من الإبادة؟؟

كان تعداد الشعب الهندي الأحمر في أقل التقديرات خمسين مليونًا! وفي بعض التقديرات يصل إلى مائتي مليون!! انخفض عدد أفراده بعد وصول الأوربيين المتحضرين أجداد الأمريكان إلى: مليونين.. أو ثلاثة ملايين نسمة.. على أكثر تقدير!!!

هل يعقل هذا ؟؟ أَيَتَصَوَّر عاقل أن أمريكا بدأت وقامت وتأسست على أشلاء هذه العشرات من الملايين من أصحاب الأرض الأصليين ؟!!

وكالمعتاد.. ولكي يبدو الأمريكان بالمظهر الحسن أمام أنفسهم، ثم أمام أولادهم فيما بعد.. قدموا صورة (الهنود الحمر) على أنهم إرهابيون متوحشون دمويون، يقاومون الأمريكان المتحضرين، الذين جاءوا يريدون الخير والسلام لأرض أمريكا!! كما أنهم شعوب همجية لديهم ديكتاتورية قبلية، والأمريكان إنما أتوا لترسيخ الديمقراطية في بلاد الهنود!!

ولذلك, فلا ضرر ولا مانع من قتل ثمانية وأربعين مليون هندي ، لكي يحيا 2 مليون في ديمقراطية الأمريكان المزعومة!!

هؤلاء هم أجداد الجيش الأمريكي الذي ذهب لـ(تحرير) العراق وأفغانستان.

ويبقى السؤال..

هل كانت هذه آخر المجازر؟؟ هل بدأ الأمريكان بعد ذلك صفحة جديدة خالية من الدماء والأشلاء؟؟!

الحق أن مرحلة جديدة بدأت.. مرحلة استعباد أفريقيا!!

بدأت مرحلة اصطياد الأفارقة المساكين، الذين يعيشون في قارتهم السمراء منذ المئات أو الآلاف من السنين، ولكن الأمريكان (المرفهين الأسياد) يريدون من يخدمهم في وطنهم الجديد، بعد أن قضوا على الهنود الحمر.. يريدون من يزرع لهم, و يبني لهم، ويكنس الشوارع، وينظف البيوت!!...

ولكن كيف كان الأمريكان يصطادون الأفارقة السود؟؟

لقد كانوا يقتحمون القرى الأفريقية الآمنة ليلاً.. يقتحمون على الناس بيوتهم، ويقومون بإحراق القرية بكاملها!!

يفزع الناس.. ويفرُّون هاربين من تلك الحرائق.. يخرج الرجل بأسرته كلها، وإذا به يجد الأمريكان في انتظارهم بالأقفاص الكبيرة، والبارود والخناجر... والديمقراطية بالطبع!!

ومن يتجرَّأ على المقاومة، ويرفض المجيء معهم يُعَدُّ إرهابيًا – قطعًا – ولا يعرف مصلحته ولا مصلحة أمته، وسيكون عقابه الرادع

بالتأكيد أن يُقْتَلَ ذَبْحًا؛ لإراحة الأفارقة من شر الإرهـــابيين الـــذين يعيشون في الأرض فسادًا!!

وهكذا بدأت عمليات شحن الأفارقة من أفريقيا إلى أمريكا في ظروف غير إنسانية على الإطلاق.. بل بطريقة غير حيوانية!!! كـــان الأفريقي الأسود (الذي سيصبح عبدًا عمَّا قليل) يُربَطُ بالسلاســـل في مكان من السفينة طوال فترة الشحن، ولا يبرح ذلك المكان أبـــدًا؛ لا يسمح له بالقيام حتى إلى دورات المياه مطلقًا!! بل دورات ميـــاههم حيث يُسَلْسَلُون!!

ولك أن تتصور كيف تكون الحياة في هذا الجو لمـــدة شـــهور حتى ترسو السفن على الموانئ الأمريكية المتحضرة!! ويتم بيع العبيد!

ونتيجة لهذه الظروف البشعة في النقل كان يموت نحو سبعين أو ثمانين في المائة من الشحنة البشرية، وكان الأمريكيـــون لا يكترثـــون لذلك؛ فهم يعتبرون أن الذي مات كان ضعيفًا هزيلاً؛ فهو لن يقوى على السخرة في الأرض الأمريكية المتحضرة!! وبـــذلك أُزهقـــت في النقل على مدار قرنين – تقريبًا – أرواح عشرات الملايين من الأفارقة السود، ومن عاش منهم انتقل إلي حياة السخرة والـــبطش والقهـــر والاستعباد والذل.. كل ذلك بلا ثمن ولا حق!! وترسخت العنصرية في نفوس الأمريكان: الأبيض شيء, والأسود شيء آخر تمامًا.. وقام

السود في أمريكا بالبناء والزراعة والنظافة لتقوم أمريكا الديمقراطية!!

أمريكا.. في القرن العشرين:

قد يخيل للبعض أن تلك الطبيعة الدموية والعدوانية كانت مرتبطة بمرحلة تاريخية خاصة لها ظروفها, وقد تبدَّلت الأحوال الآن, وارتقى البشر وتهذَّبت طباعهم.... ولكن القارئ لصفحات التاريخ القريب جدًّا سيجد العكس تمامًا فيما يخص أخلاقيات الدولة الأمريكية العظمى..

- أليست أمريكا هي الدولة الوحيدة في الأرض التي استعملت السلاح النووي الإرهابي (سلاح التدمير الشامل)؟!!..
- أليست هي الدولة التي ألقت قنبلتين نوويتين على هيروشيما ونجازاكي في سنة 1945 م؟
- أليست هي التي قتلت في هيروشيما ثمانين ألفًا من المدنيين في لحظة واحدة؟؟! وفي نجازاكي سبعين ألفًا آخرين؟!! وتركت فيهما مائتي ألف مشوه؟!! ومازال الأطفال المشوهون يولدون إلى الآن في تلك المناطق نتيجة الإشعاع النووي!!

والعجيب أن يعلو صياح الأمريكان اليوم إن اكتشفوا في العراق مقبرة جماعية تضم ثلاثين أو أربعين شخصًا؟؟!

ماذا نقول – إذن – عن مقبرة هيروشيما ونجازاكي اللتـــان تحويان أكثر من مائة وخمسين ألف مدني.. ماذا نسميها؟؟!!

وخرجت أمريكا من الحرب العالمية الثانية.. ومن هيروشيما ونجازاكي... إلى الحرب الكورية سنة 1951!!.. فكم قُتِـلَ مـن الكوريين على أيدي الأمريكان؟.. ثلاثة ملايين قتيل..!! منهم أكثـر من مليونَيْ كوري مدني!!!

وبالطبع.. لم يكن كل هذا إلا لترسيخ الديمقراطية في كوريا الشيوعية!!

وبعد ذلك كانت حرب فيتنام من سـنة 1964 لسـنة 1973... إبادة و سحق للشعب الفيتنامي.. أتعلمون كـم عـدد القتلى من الفيتناميين الذين سقطوا في أرضـهم وديـارهم بأيـدي الأمريكان؟.. بلغ عدد القتلى ما بين مليـونين إلى أربعـة ملايـين فيتنامي!! وكانت حربًا من أكبر حروب الإبادة في التاريخ.

هذا إلى جانب تاريخ أمريكا الأسود مع المسلمين أنفسهم, فيما يتعلق بالتأييد المطلق لكل المجازر الصهيونية ضد المسـلمين مـن 1948 وإلى الآن.. مرورًا بـ 1967 وما بعدها, من مذابح بحـر البقر ومذبحة قانا، وغيرها .. وهذه المسـاندة المطلقـة في حـرب

رمضان – أكتوبر 1973 , ومساندة اليهود في ضرب وحصار بيروت في 1982, وإمدادهم بالقنابل العنقودية المحرمة دوليًا، ولكن لا مانع منها إن كان الذي سيُضرب بها هم المسلمون!!

بل إن أمريكا نفسها ضربت العراق وأفغانستان بقنابل بها مادة (اليورانيوم) المحرم دوليًا.. وعندما أرادت تحرير كوسوفا كما يقولون، وضرب المتمرد اليوغوسلافي (ميلوسوفيتش) ماذا فعلوا؟؟ لقد ألقوا عليهم قنابل اليورانيوم الذي سيظل في أرض كوسوفا – كما تذكر الصحف الأمريكية – نحو مليار سنة إن بقي في عمر الأرض مليار سنة!!

إنه – إذن – تاريخ طويل شديد السواد.. تاريخ ذلك الجندي الأمريكي الذي يتلذذ بتعذيب الأسرى (في أبو غريب أو جوانتانامو أو باجرام في أفغانستان... أو في السجون السريَّة المنتشرة في القواعد العسكرية الأمريكية عبر العالم والتي ذاع صيتها مؤخَّرًا..)

ومن كان تاريخه بهذا السواد، فلا يُستغرب منه أن يأتي بمثل تلك الفظائع..

الجانب الأخلاقي للجندي الأمريكي:

أو قل إن شئت: الجانب اللا أخلاقي للجندي الأمريكـــي في العراق (وغيرها)...

نريد أن نفكر سويًا.. هل ما يفعله الجنود الأمريكيون بأسراهم – عبر العالم – يُعَدُّ غريبًا على حياة الأمريكي وطبيعته؟؟

ألم نلحظ أن معظم صور التعذيب ذات توجه جنسي فاضح؟! فهـــل كان التفكير في الجنس بهذه الصورة اللا أخلاقية والمتكررة غريبًا على الأمريكي حتى في بلده، لا بلاد أعدائه؟!!

إذا رصدنا الجوانب الجنسية عند الأمريكان سنذهل بالنتائج:

تقول الإحصائيات إن 80% من الشباب الأمريكـــي دون الثامنة عشرة في المدن الكبيرة مثل: نيويورك أو سان فرانسيسكو أو لوس أنجلوس... 80% من هؤلاء الشباب (الذين هـــم يحسـبونهم أطفالاً) ارتكبوا جريمة الزنا!!!

وفي القرى تنخفض هذه النسبة إلى 33% !! بمعنى أن الذي يمارس الفاحشة وهو لم يبلغ الثامنة عشرة في أقل المعدلات 33% في القرى!!

أي أن أشرف مكان لديهم (وهو الريف) ترتكب فيه جريمـــة الونـــا بنسبة 33% بين الأطفال!!

والمعدل القومي لارتكاب الزنا في كل أمريكا (55%) هذه

نسبة الزنا في الأطفال تحت سن الثامنة عشرة.. أما فوق الثامنة عشرة.. أي في سن الجامعة فالنسبة تتجاوز 90% على مستوى أمريكا!!!

ومن ثَمَّ فلا غرابة أن نجد لديهم 35 ألف حالة حمل بدون زواج في المراهقات.. كل عام!! ولا غرابة أيضًا أن تسجل مراكز الصحة (في عام 1998 فقط) نحو مليون وربع المليون حالة إجهاض!!

أرقام.. ودلالات:

- 24% من العائلات الأمريكية لا تعرف رمز الأب، لا يوجد بها أب، وتعيش الأم مع أبنائها فقط؛ لأنها لا تعلم من هو أبوهم!!!
- ربع الجيش الأمريكي لا يعرف أباه!!
- ذكرت مجلة (US today) (أمريكا اليوم) أن الخيانة الزوجية تصل إلى 60% في الشعب الأمريكي!!.. هذا هو المعروف.. وما خفي كان أعظم.!!
- 26% من الأمراض في أمريكا بصفة عامة أمراض جنسية.. أي نتيجة العلاقات غير المشروعة!!

- وصل عدد حالات الاغتصاب في داخل أمريكا إلى380 ألف حالة اغتصاب عام 1993 لنساء أمريكيات داخل حدود أمريكا!! وهذا الرقم يشير إلى حالات الاغتصاب بالقوة طبعًا، بخلاف الزنا بالتراضي .

و إذا كانت كل هذه الأرقام غير لافتة للنظر عند كثيرين، فلتقرأ هذا التقرير:

تقرير وزارة العدل الأمريكية:

نشر هذا التقرير عام 1994، وهو يدور حول دراسة أُجريت عام 1992 في اثنتي عشرة ولاية أمريكية فقــط.. (ربــع أمريكــا تقريبًا).. فما الذي جاء في هذا التقرير؟

- 10000 (عشرة ألاف) حالة اغتصاب في السنة لبنات تحت سن الثانية عشرة!!! والرقم رهيب وخطير؛ حتى إنه سبب لهم إزعاجًا.. (تذكَّر أننا نتحدث عن اثنتي عشرة ولاية فقط!!)
- الأخطر من ذلك أن 20% من هــؤلاء الفتيــات قــد اغتُصِبْنَ بواسطة الآباء!! هذا كله في ســنة واحــدة!!!

(لاحظ أن هذا التقرير رسمي، وهو غالبًا مـــا يعكـــس الصورة مخففة؛ لأن الكثير من الحوادث لا تُعلن, ولا يُبَلَّغ عنها أصلاً).

- 54% من حالات الاغتصاب لهؤلاء الفتيات كانـــت بواسطة الأقارب! ومعظمهم من المحـــارم!! أي: الأخ أو الخال أو العم!!! و 22% بواسطة المعارف.. و 4% فقط بواسطة أغراب.. أي أن المشكلة من داخل المجتمع نفسه!!

فإذا كان الجندي الأمريكي يفعل ذلك في شعبه وفي وطنه، بين أحبابه، وأصحابه، وأبنائه... فكيف نستغرب أن يفعل ذلك مع أعدائه المسلمين من العراقيين أو غيرهم؟؟!

الشذوذ الجنسي:

- كان الأطباء النفسيون في أمريكا قديمًا يعتبرون الشذوذ الجنسي (مرضًا نفسيًّا).. أما اليوم، ونتيجة لانتشار المأساة في أمريكـــا أصبح يُعتبر أمرًا عاديًا، لا يعدو كونه تنوعًا في الرغبـــات مـــن رجل إلى رجل, أو من امرأة إلى امرأة!!
- الأنكى من ذلك أن يسمح الرئيس الأمريكي الســـابق "بيـــل

كلينتون" ، ويزيد من شعبيته عن طريق السماح للشواذ بدخول الجيش الأمريكي!! وكان انتصارًا كبيرًا جدًا للشواذ، ولك أن تتخيل كثرة عدد الشواذ لدرجة أن التحاقهم بالجيش يصبح قضية قومية يتكلم فيها الرئيس!!

- أكبر نسب للانحراف الجنسي في الإحصائيات الأمريكية توجد في الجيش الأمريكي والسجون الأمريكية..
- بعض الكنائس الأمريكية تسمح الآن بزواج الرجال من الرجال!!
- ولاية ماساشوتس الأمريكية هي أول ولاية أمريكية تجعل في دستورها إمكانية زواج الرجال من الرجال!! بمعنى الاعتراف بكل المترتبات القانونية على هذا الزواج من (عقد زواج, وإمكانية الطلاق، والميراث...)!!
- عدد الشواذ في أمريكا من الرجال والنساء في بعض الإحصائيات خمسون مليونًا!! (أي سدس الشعب الأمريكي)، وتعترض على هذا الرقم بعض الإحصائيات, وتذكر أنهم 17مليونًا فقط.. كثيرون منهم في الجيش الأمريكي.
- ضحايا مرض الإيدز في أمريكا حتى سنة 2002 كان عددهم (886 ألف ونصف) مريض!! مات منهم أكثر من نصف

مليون أمريكي!! وبالرغم من كل ذلك.. مازال الشذوذ أمـــرًا معترفًا به. (الفرق ليس كبيرًا بين أمريكا وأوروبا في هذا الصدد؛ فالجيش الإنجليزي لا يختلف كثيرًا.. لدرجة أن تعقـــد أوروبـــا مؤتمرًا سنويًا للشواذ في أمستردام في هولندا، يحضره نحو مليـــون شاذ كل سنة من أطراف أوروبا!!!)

- التعذيب الجسدي من وسائل الاستمتاع الجنسي عند كثير جدًا من الأمريكان!! لدرجة أن هناك العديد من المحلات والصحف تروج لأدوات الاستمتاع الجنسي!! تجد مـــن ضـــمن هـــذه الأدوات: سياط.. جنازير.. سلاسل.. حبال!! هذه من أنـــواع المتعة عند بعض أفراد الشعب الأمريكي، وعند الكثير من أفراد الجيش الأمريكي!!

وهكذا كما ذكرنا من قبل قوة وجيش بدون أخلاق ، كيف نتصور أن تكون ؟؟ هذه هي الجوانب الأخلاقية ، أو اللاأخلاقيـــة للجنـــود الأمريكان .

التمييز العنصري:

تبرز العنصرية بقوة عند الجيش الأمريكي، وهي نتاج للعنصرية السائدة في المجتمع، وذلك على الرغم من إن الدستور الأمريكي يمنـــع

التفرقة بين الناس على أساس اللون أو الجنس أو الدين أو غير ذلك، إلا أن العنصرية مغروسة في قلب معظم الأمريكان، إذ يفرقون تمامًا بين السود والبيض:

- للبيض أحياؤهم النظيفة الراقية، وللسود شوارعهم وأحياؤهم الشعبية، التي قد تكون أدنى مستوى من بعض دول العالم الثالث!!..
- للبيض مدارس, وللسود مدارس أخرى مختلفة!
- للبيض جامعات, وللسود جامعات أخرى مختلفة!!
- يسمح القانون للأسود أن يلتحق بمدارس البيض والعكس لكن الواقع غير هذا؛ الواقع يقول إن الأسود يعيش غريبًا وسط مجتمع البيض، يُنظر إليه في كل لحظة نظرة دونية تمامًا...

نتج عن كل ذلك شعور شديد بالكراهية في قلوب السود ليس للبيض فقط ولكن للحياة بكاملها: للبيض.. وللمجتمع.. وللعالم كله! ولهذا نجد معدلات الجريمة في السود عالية جدًا.. أكثر من 80% من السجناء في أمريكا سود، وجرائم القتل البشع والمخالفات الكبيرة للقانون يقوم بها السود...كل هذا من أثر العنصرية والتمييز على أساس اللون والجنس.

وإذا فكرنا في هذا الأمر برويَّة ندرك ما يلي: إذا كان لدى

الأبيض الأمريكي هذه العنصرية للأَسْوَدِ الأمريكي، فما بالكم بعنصريته تجاه غير الأمريكي؟!.. وخاصة إذا كان متحفزًا ضده بما يمليه عليه الإعلام والقيادة من أن أعداءه الذين يحاربهم إرهابيون مسلمون يريدون الشر بأمريكا خاصة, وبالعالم كله عامة؟؟!

على ضوء ما سبق نستطيع أن ننظر جيدًا إلى الجيش الأمريكي؛ فهو إما أبيض عنصري يحتقر كل من هم دونه، وإما أسود حاقد على كل شيء، وكلاهما يستغل الفرصة لكي يخرج ما ملأ صدره من الحقد، ويجدون – جميعًا – في تعذيبهم للمسلمين حلاً لعقدهم النفسية!!

وعلى الرغم من كل ذلك لا ينسى الأمريكان طريقتهم البارعة في تجميل الصورة وإظهار أنفسهم بأنهم غير عنصريين على الإطلاق؛ وذلك من خلال الأفلام والإعلام، حيث تظهر في أفلامهم صداقة الأبيض مع الأسود.. وليس هناك مانع أن يكون وزيرة الخارجية من السود كل ذلك من أجل الظهور بالمظهر الحضاري اللائق, ومن أجل كسب الأصوات الانتخابية.. لكن الفرق بين البيض والسود في صميم المجتمع الأمريكي.. في داخل أمريكا.. كالفرق تمامًا بين السماء والأرض.

عقيدة المصالح!!

هناك جانب تربوي آخر مهم جدًا عند الجيش الأمريكي والشعب الأمريكي، وهو جانب المصالح؛ فهذا الشعب يؤمن تمامًا بأهمية المصالح في تحديد تصرفاته، فلا مانع لديه إذا كانت المصلحة مع اليهود أن يتعاون معهم لأقصى درجة، مع أن النصارى يحملون في صدورهم حقدًا وكراهية عظيمة لليهود، ولا سيَّما أنهم يتهمونهم بأنهم قتلة المسيح عليه السلام (وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شُبِّهَ لهم).. إذا كانت لهم مصالح مع الأفغان من أجل قهر العدو الروسي، فلا مانع من إمداد الأفغان بالسلاح ومساعدتهم، وإذا تغيرت هذه المصالح فلا مانع من احتلال أفغانستان، وبالمثل إذا كانت المصالح مع (صدام حسين) فهو صديق حميم وزعيم متعاون.. وتنهمر عليه وعلى أعوانه ألقاب التعظيم: فخامة الرئيس.. وسعادة السفير.. ومعالي الوزير..!!! وهكذا.. حتى إذا ما تعارضت المصالح يتحول كل الزعماء والوزراء والأنظمة الصديقة إلى أوراق لعب، يتم البحث عنها لاعتقال أصحابها ومحاكمتهم، وتُحْتَلُّ الدولة التي كانت صديقة، وتَخرج من الأدراج ملفاتُ إجرام صدام.. وظلم صدام.. ومقابر صدام.. وتُنْسَى الصداقة القديمة والعلاقة الحميمة والزيارات واللقاءات والمعاهدات..!!

وهكذا تربَّت الأمة الأمريكية تربية المصالح.. الربح والخسارة.. والمصلحة اليوم في الاحتلال.. المصلحة في التعذيب لاستخراج الأسرار.. المصلحة في الإذلال لكسر الروح المعنوية.. المصلحة في الاعتداء الجنسي لتفريغ شهوات الجنود....!!

فلا بد أن ينفذ قانون المصلحة.. فأمريكا - كما يقولون – أولا!! وأمريكا ـــ كما يقولون ـــ قبل كل شيء.

أوامر مباشرة!!

ولم تكن تلك الخلفيات التاريخية والأخلاقية (أو اللا أخلاقية) والعنصرية والتربوية.... لم تكن تلك الخلفيات وحدها هي ما أفرز تلك الفضائح التي هزت ضمير الإنسانية.. فقد كانت هناك أوامر مباشرة من القيادة العسكرية الأمريكية بتعذيب السجناء، وإذلال العراقيين, ولا شك أن تلك الأوامر لم تكن سِرِّية، بل كان الجميع يعلموها (يقينًا) وقد ظهر ذلك في تقرير الميجور الأمريكي (أنطونيو تَجوبا) الذي كتب تقريرًا عن الفضيحة ذكر فيه أن الأوامر العسكرية كانت تأتي بوضوح بتعذيب الأسرى حتى يتسنى أخذ المعلومات منهم.. وذكر أن الرجال العراقيين كانوا يُجْبَرُونَ على ارتداء ملابس داخلية نسائية!! ثم يقوم الجنود الأمريكيون بتصويرهم فوتوغرافيًا

وبالفيديو على هذه الحال!! ويتم التعذيب وهم على هذه الصورة أو وهم عرايا تمامًا!!

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ## إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ!!

هذا الكلام صدر في تقرير رسمي للميجور رفع للمخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، وحصلت عليه وكالة الأنباء الفرنسية وقامت بنشره.

ولا أعتقد أننا نستغرب كثيرًا الآن إذا علمنا أن ذلك التعذيب البشع كان يتم بأوامر صريحة ومباشرة؛ فالأمر متوقع جدًا من نفسيات تربَّت في مثل ذلك المجتمع المليء بالانحراف النفسي، والشذوذ الجنسي..

بعد أن تبينَتْ لنا تلك الخلفيات النفسية والتربوية والتاريخية للجندي الأمريكي.. نحاول – في الصفحات القادمة – معرفة سر ذلك التوقيت الذي تكشَّفت فيه هذه الفضيحة الأمريكية..

سرُّ التوقيت..

لمحاولة التعرُّف على السر وراء توقيت كشف خبايا فضيحة

تعذيب السجناء العراقيين في السجون الأمريكية لا بد أن نتعامل مع أحد افتراضين:

- إما أن هذه الصور ظهرت برغبة القيادة الأمريكية..
- أو أنها ظهرت رغمًا عن تلك القيادة..

على الفرض الأول: فإن الإدارة الأمريكية تهدف من نشر هذه الصور أن تمعن في إذلال الشعب العراقي، بل والأمة الإسلامية بأسرها.. بالإضافة إلى رفع الروح المعنوية للجندي الأمريكي، وطمأنته إلى أنه مسيطر على الوضع تمامًا، وخاصة إزاء الاستبسال الذي تبدو عليه المقاومة العراقية باذلةً قصارى جهدها.. (لا تنسوا أن مدينة الفلوجة الباسلة استشهد فيها وحدها سبعمائة مجاهد.. وتساقط فيها العديد من الجنود الأمريكان)..

كان لابد أن تخرج صور تكسر من صلابة المقاومة العراقية، وتفتُّ من عضدها، بل وترهب العالم الإسلامي كله، وتوصل رسالة لكل مسلم يحاول أن يقاوم الجيش الأمريكي، بأن من لا يستجيب لهم فسيكون هذا مصيره!! سواء في العراق أو أفغانستان.. أو في سوريا مستقبلاً، أو إيران أو السودان...

وغيرها.. تبعًا للبرنامج الإصلاحي الأمريكي!!

أما الفرض الثاني (وهو الأرجح): أن هذه الصور تسربت وانتشرت بدون علم الإدارة الأمريكية؛ وإذا راجعنا المصادر التي قامت بنشرها لا بدَّ أن نتبين الغرض الرئيسي لذلك التوقيت في النشر تحديدًا:

- قناة (سي بي إس) الأمريكية.. قناة يهودية مائة في المائة..!!
- الصحيفة الأمريكية التي نشرت هذه الصور (الواشنطن بوست) صحيفة يهودية..!!
- الصحيفة البريطانية التي قامت بنشر هذه الصور (الديلي ميرور) تقع تحت سيطرة يهودية شبه كاملة..!!
- وكالة الأنباء الفرنسية اللي نشرت التقرير الرسمي الخاص بالماجور الأمريكي (أنطونيو تاجوبا) ـــ الذي ذكرناه منذ قليل ـــ وكالة يهودية مائة في المائة...!!!

لا بدَّ أن نعلم أنَّ اليهود يسيطرون على أكثر من خمسين بالمائة من الإعلام الأمريكي والإنجليزي والفرنسي.. بل إن أكبر وكالتي أنباء على مستوى العالم (رويتر – أسوشيتد برس)

وكالتان يهوديتان 100% !!

لا بدَّ – إذن – أن لليهود أهدافًا وراء اختيار توقيت الكشف عن هذه الفضيحة..

1. يبدو أنَّ أول هذه الأهداف كان فضح الإدارة الأمريكية في وقت حرج وحساس بالنسبة لها (حيث كان سباق الانتخابات الرئاسية محتدمًا)؛ ربما بقصد ابتزازها – بغضّ النظر عن عمق ومتانة العلاقة بين الطرفين – فهذا دائمًا شأن اليهود حين يلجئون في كثير من الأحيان إلى التضحية بأقرب أصدقائهم إيثارًا لمصالحهم!
2. لا يخفى أيضًا على المتأمل في ملابسات التوقيت هدف آخر نجح اليهود بنسبة كبيرة في تحقيقه بكل أسف.. وهو أن يشغلوا العالم كله عنه أحداث فلسطين، وهذا ما حدث فعلاً: انشغل العالم كله (الإسلامي وغير الإسلامي) بمتابعة فضائح أمريكا في تعذيب المعتقلين، وجرائم الجيش الأمريكي في العراق... وتناسوا ما يحدث في أرض فلسطين، وهو أبشع بكثير مما حدث في العراق..

انشغل الرأي العام العالمي بسَيْل الصور المتوالية من (أبو غريب) عن اغتيال الشيخ القعيد (أحمد ياسين)، أو الدكتور

(الرنتيسي), وغيرهما من مئات الشهداء الفلسطينيين..

لم يعد العالم (أمام الضجيج الإعلامي المصاحب لفضيحة أبو غريب) يسمع عن هدم المنازل في رفح وغزة والضفة الغربية!!

استغلَّ اليهود فضيحة أبو غريب جيِّدًا, وواصلوا ارتكاب جرائم أبشع على أرض فلسطين.. وإذا ما تكلم أحد وقارن فالردُّ عند اليهود سيكون جاهزًا: أين ما نفعله في فلسطين مما ارتكبته أمريكا وبريطانيا من فظائع في العراق؟!!.. وذلك ما صرح به (حينها) مسئول صهيوني كبير للإذاعة البريطانية (BBC)، حينما سأله المذيع البريطاني حول الانتهاكات الإسرائيلية على أرض فلسطين، فقال له بكل ثبات: قبل أن تسألني عن الانتهاكات الإسرائيلية اسأل السيد (بلير) عن انتهاكات الجيش البريطاني في العراق!!

وبذلك يثبت لنا أن اليهود أكبر المستفيدين من نشر هذه الصور في ذاك التوقيت للتغطية على الأحداث في فلسطين، فضلاً عن السبق الصحفي الكبير (للواشنطن بوست), و(الديلي ميرور), ووكالة الأنباء الفرنسية, ومحطة (سي بي إس)... وكلها وكالات أنباء يهودية.. ستبدو كل هذه الوكالات كلها حينئذٍ صادقة؛ تبحث عن الحقيقة، وتدافع عن الإنسانية، وتهاجم العنصريين حتى لو كانوا أمريكيين!! أي أن المصالح التي ستتحقق لليهود من نشر هذه الجرائم

ضخمة جدًا.

كانت تلك بعض المبررات التي يمكن أن تكون وراء اختيـــار ذلك التوقيت لنشر هذه الصور.. ولا يبقى بعد ذلك إلا أن نتوقــف أمام دورنا (كشعوب لا كحكومات؛ فقد رأينـــا مســـتوى تفاعـــل الحكومات) المطلوب تجاه مثل هذه الأزمة.. وهو ما سنتعرف عليه في السطور القادمة.

الدور المطلوب

لا بدَّ أن يكون السؤال الأهمُّ دومًا عند كل أزمة أو مصيبة تحلُّ بالأمة: ما هو دوري أنا؟؟.. لأن الله سيسألني (فردًا) عمَّا قدَّمت, ولن يسألني عمَّا قدَّم فلان من الناس أو أمَّة من الأمم..

لذلك, فأنا أتصوَّر أن شعوب المسلمين مطالبة بـــالكثير؛ لأن في يدها الكثير – على عكس ما نتصوَّر أحيانًا – .. من ذلك مثلاً:

أولاً: الجهاد في سبيل الله..

فلا شيء يعادله؛ فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال, دُلَّني على عمل يعدل الجهاد.. قال: "لا أجده".. قال: "هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر, وتصوم ولا تفطر؟؟".. قال: ومن يستطيع ذلك؟!!.. هذا هو المجاهد الحق، كأنه رجل صائم قائم بلا توقف!!

وعليه فإن الشعوب التي من المتاح لها أن تجاهد لابد أن تجاهد، وليس لديها خيار آخر، وذلك ينطبق على الجهاد في فلسطين والعراق وأفغانستان... فلا يُعقل بعد كل هذا أن نجد بعض الزعماء الفلسطينيين يطمعون في أن تمنحهم حكومة بوش ورامسفيلد دولة.!! فهذا الكلام مرفوض عقلاً.. فضلا عن عدم قبوله شرعًا! .

أما الشعوب التي ترغب في الجهاد، و لم يُفتح لها باب الجهاد.. فعليها أن تعلم أن الجهاد ليس بالأمر اليسير، وأنه يحتاج منها إلى تربية وإعداد؛ حتى تتمكن من الصمود إذا أتيح لها ذلك يومًا.. لا بد أن يُعِدَّ المرء نفسه تربويًا ومعنويًا وبدنيًا وأسريًا.. يجب أن يعيش بروح المجاهد بين أهل بيته.. إن تلك التربية تحتاج إلى وقت وجهد من نوع

خاص.. تحتاج إلى رجال ونساء يعون جيدًا دور الأمة الإسلامية في الأرض، وهذا الموضوع كبير جدًا، يحتاج إلى العديد والعديد من الصفحات.. حتى يتغير منهج حياتنا تمامًا إلى (الاستعداد للجهاد).

ثانيًا: احذر الوهن..

علينا أن ندرس جيدًا الأسباب التي من أجلها استهان بنا اليهود والأمريكان وغيرهم من أهل الأرض، لماذا استهانوا بالأمة الإسلامية كلها.. بأمة المليار.. على هذا النحو السافر؟!..

والأسباب وإن كانت كثيرة ، إلا أن سببًا رئيسيًّا يجمعها، تحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه وأرضاه، الذي رواه أبو داود بسند صحيح.. قال فيه صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها".. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟! قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل!!.. ولَيَنْزِعَنَّ الله من صدور عدوكم المهابةَ منكم، ولَيَقْذِفَنَّ الله في قلوبكم الوهن".. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟؟! قال: "حب الدنيا وكراهية الموت"!..

حب الدنيا و كراهية الموت في سبيل الله هو السبب وراء كل الأزمات التي تمر بها الأمة الإسلامية، و دورنا في هذه المرحلة أن

نعرف قيمة الدنيا في ميزان الله تعالى، وأنها لا تساوي قطرة في محيط، ولا تساوي جناح بعوضه، وأن الإنسان مهما طال بقاؤه فيها فعمره قصير.

ثالثًا : تحريك القضية..

لا يجب أن ننسى هذه الصور أبدًا، لابد أن يظل في وعي الناس وفي ضميرهم أن العراق محتل، وأن حكومته الحالية من صنع الاحتلال الأمريكي.. يجب ألا ينسوا الآلاف الذين ماتوا، والملايين التي سرقت.. للأسف كثيرًا ما ننسى الأحداث الجسيمة التي تمرُّ بنا مهما كانت خطيرة، ومهما تأثر الناس بها، فإن الزمان يأتي عليها، وتمر كأن شيئًا لم يكن!

تأثر الناس جدًا باستشهاد الشيخ أحمد ياسين، والدكتور الرنتيسي وغيرهما.. الكثيرون خرجوا في مظاهرات، وشاركوا في مؤتمرات وندوات... ولكن أين هم الآن؟!! من منهم يذكر شهدائنا الآن؟؟ كم منهم غيَّر من منهج حياته لكي يصلح من شأن الأمة؟!.. أين الآن من يذكر قضية (جوانتانامو)؟؟!...، انتهى كل شيء!!

عندما يكون الموضوع جديدًا ساخنًا نتحدث عنه ليل نهار.. ونتناقل الأخبار بالتفصيل، كنا من قبل نتناقل أخبار الفظائع التي

تُرتكب مع المسلمين الأفغان في سجن (جوانتانامو), اليوم نسيناهم، وكأن شيئًا لم يكن!!.. مع أن التعذيب لا زال مستمرًا هناك، ومازالت أرض أفغانستان محتلة!..

فمهمتنا – إذن – أن نجعل الموضوع حيًا في وجدان الأمة، نتحدث عنه مع من حولنا في كل وقت ومكان.. مع الأصدقاء والأقارب.. من خلال المجموعات البريدية على الإنترنت.. رسائل متواصلة للتذكير بهذه القضية الخطيرة.. راسل الصحف والمجلات والفضائيات.. على الطلبة في الجامعات أن ينفذوا مجلات حائط ونشرات صحفية تعرض تلك المأساة وتعرف الناس بها.. لا بد أن تظل القضايا حية: العراق محتل، وفلسطين محتلة، وكذلك أفغانستان، وكشمير، والشيشان.. السودان وضعها خطير.... ما دامت هذه القضايا في أذهاننا فإن هناك أمل في النصر ، أما إذا نسيناها فإن النصر يبتعد عنا يومًا بعد يوم!..

رابعًا: مخاطبة الغرب..

الشعوب الغربية لا تسمع إلا وجهة النظر الأمريكية في احتلال العراق، ولا تسمع إلا وجهة النظر اليهودية في احتلال فلسطين.. فأين وجهة النظر الإسلامية في هذه القضايا وغيرها؟؟..

الشعب الأمريكي يردد ما يلقنه إياه إعلامُه الأمريكي مـــن أن الذين قاموا بالتعذيب إنما هم (قلة منحرفة) من الجيش الأمريكي!! مَن الذي يستطيع أن يرد على هذه الادعاءات، ويصحح هذه الأكاذيب؟ ويخبرهم أن هذا أمر عام في كامل العراق؟؟

دورنا في هذه المرحلة مخاطبة الشعوب الغربية والشرقية في كل الأرض، دورنا أن نخاطب كل الذين نعرفهم في الخارج، كل منا مـــن الممكن أن يكون له صاحب, أو زميل في عمل دراســـة.. لا بـــد أن يُطْلِعَه على الحقيقة، هذا دور المســـلمين في الـــبلاد الغربيـــة، ودور الجاليات المسلمة التي يجب أن تدافع عن قضـــايا المســـلمين وســـط الشعوب الغربية, ودور المسلمين الذين يتقنون اللغات الغربية الإنجليزية والفرنسية والألمانية... وغيرها.. أن يتحدثوا ويشرحوا الواقع الحقيقي من وجهة نظر المسلمين.. وهذا دور من أعظـــم الأدوار في المرحلـــة الراهنة, ولدينا مادة ثرية جدًا للحديث، العالم كله يتحدث اليوم عن قضية الانتهاكات الأمريكية لحقوق الإنســـان.. الفضـــائح تتـــوالى, والأسرار تتكشَّف.. ولم يعد الأمر مقتصرًا على السجون العراقيـــة أو معسكر (جوانتانامو) أو سجن (باجرام) بأفغانستان.. بل إن الأمـــر تعدَّى ذلك إلى ما صار يُعرف بالسجون السرّيَّة في القواعد الأمريكية حول العالم, فضلاً عن إرسال المعتقلين في رحلات سرية لتعذيبهم في

دول أخرى!!.. وهذه فرصتنا لعرض وجهة نظرنا.

خامسًا: التعريف بسمو الإسلام..

التعريف بسمو الإسلام عمومًا، وبموقف الإسلام من الأسرى خاصةً، وتاريخ المسلمين في التعامل مع الأسرى.. ما الفرق – مثلاً – بين الإسلام وبين اتفاقية جنيف؟ ما الفرق بين المسلمين في عهد القوة وبين الأمريكان في عهد القوة؟

إذا لم ننشر هذا الأمر على الناس جميعًا اليوم، فمتى ننشره ؟؟! إذا لم يتعرف العالم على سماحة الإسلام وإنسانيته الآن.. فمتى إذن؟!.. هذه فرصتنا لكي يعرف العالم عن الإسلام أكثر، وسيكون موضوع الأسرى في الإسلام جذابًا لأسماعهم جدًا، ومفتاحًا جيدًا لعرض سماحة الإسلام في شتى المجالات.

سادسًا: الجهاد بالمال..

كل من يستطيع أن يوصل مالاً أو تبرعات عينية للمسلمين (كالدواء والكساء والغطاء وغيرها..) عليه أن يفعل، والجهاد بالمال فرصة كبيرة لكي ينال المرء شرف أن يكون مجاهدًا، وهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حين قال: "انفروا خفافًا وثقالاً

وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون".. خير لك من اكتناز المال أن تجاهد به.. خير لك من إنفاق المال في جوانب الترف أن تجاهد به... بل خير لك من إنفاق المال في أشياء كثيرة ضرورية.. أن تجاهد به في سبيل الله إن كان الجهاد متعينًا، وهو الآن متعين بكل المقاييس، والله سبحانه وتعالى قسَّم الأدوار: أهل فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير يدافعون بأرواحهم عن أرض المسلمين ومقدساتهم، وعليك أن تساعدهم وتقف إلى جوارهم ،وتُدخل السرور على أُسَر شهدائهم، وكلٌ مُيَسَّر لما خُلق له ، ولا تنس أن: "من جَهَّز غازيًا فقد غزا".

سابعًا: المقاطعة..

المقاطعة للمنتجات اليهودية والأمريكية والإنجليزية، وقد تحدثنا عن أمر المقاطعة قبل ذلك، وتناولنا قيمتها وفوائدها، ولكن أحب أن أُذَكِّر فقط بأن الناس تفتُر مع مرور الوقت، وتتهاون في أمر المقاطعة، وتضعف أمام إغراء السعر، أو جودة المنتَج، فيجب أن نعيد موضوع المقاطعة إلى أذهان الناس من جديد، وأن نتحدث عن صور التعذيب وننشرها، ونادي بمقاطعة الشركات التي تمول مثل هذه الفظائع.. وألا نتعامل معهم أبدًا إلا إذا خرجوا من بلادنا, وكفوا عن

محاربتنا, أو مساعدة اليهود والأمريكان الذين يحاربوننا.

ثامنًا: إصلاح ذات البين والوحدة بين صفوف المسلمين..

وفي هذه النقطة يجب أن نتذكر ما الذي أتى بأمريكا إلى المنطقة الإسلامية أصلاً، وما الذي دفعها لهذا التدخل السافر في شئون العالم الإسلامي على هذا النحو، وهو ما نعرفه جميعًا: مشكلة (حرب الخليج), واحتلال العراق للكويت، واستنجاد المسلمين بالقوى الأمريكية الضخمة، التي استغلت الفرصة, ووزعت قواعدها العسكرية على عدد من البلدان العربية المجاورة للعراق في قلب العالم الإسلامي!.. فهل كان يصح أن نأتي بمئات الآلاف من الجنود المزودين بأحدث التقنيات العسكرية ونسهل لهم كل شيء حتى يقيموا في بلادنا؟؟!.. ترى ما الذي عاد علينا من منافع من جراء هذا الأمر؟؟ وهل يعادل ما خسرناه؟!! أم أن ما خسرناه كان أكثر، ولا يقدر بثمن؟!!

كنا خائفين من احتلال العراق للكويت (والكويت دولة مساحتها أقل من 18 ألف كيلو متر مربع), ولا يزيد تعداد سكانها عن 2 مليون، والنتيجة أن احتلت أمريكا العراق (الذي تبلغ مساحته 438 ألف كيلو متر مربع) وعدد سكانه نحو 24 مليون نسمة!!

ولكن.. ما البديل لدينا؟؟ هل نترك الكويت محتلة كما هي؟؟ بالطبع ليس هذا هو المقصود، وإنما كان العمل واجبًا على تنفيذ كتاب الله عز وجل في الاختلاف بين المسلمين: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما, فإن بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله..".

أين الدول العربية والإسلامية؟؟ لماذا لم يتجمعوا بجدية للإصلاح بين المتنازعين، فإن فشل الإصلاح، فإنه يجب أن يكون هناك جيش إسلامي موحد يرد ظلم العراق عن شعب الكويت.. هل نعتقد أن العراق (بمفردها) كانت قادرة على حرب الدول الإسلامية لو اجتمعت ووحدت صفوفها؟! هل كانت العراق ستحارب السعودية ومصر وإندونيسيا وباكستان وسوريا، ودولاً لا حصر لها؟!

ونحن هنا لا نتحدث عن دور الدول والحكومات.. فربما لا يكون بيد الفرد منَّا أن يوحِّد العالم الإسلامي، ولكن يجب أن نبدأ من داخلنا، وأن نحرص على توحيد صفوفنا الداخلية.. يحرص كل مسلم على جاره وأصدقائه, ويتنازل عن حقه في سبيل توحيد الصف، ونبذ الخلاف, ودواعي الفرقة على اختلاف أشكالها...

حاول أن تقرِّب بين وجهة نظرك ووجهة نظر الآخرين، وتذكر دائمًا: "إنما المؤمنون إخوة".. حاول أن تسعى للإصلاح بين

المتخاصمين، وتحل المنازعات حتى لو لم تكن طرفًا فيها.. لا مانع من إنشاء لجنة صغيرة لحل المشكلات بين الجيران أو الأصدقاء.. تُصلح، وتُقرِّب.. في كل شارع، وفي كل مسجد، وفي كل شركة... نريد أن نشعر بشعور الأمة الواحدة، ونحيا بروح الأمة الواحدة: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون".

تاسعًا: الدعاء..

والدعاء لابد له من عمل حتى يُقبل.. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "الدعاء يرفَعُهُ العمل".. ولهذا آثرت أن أقدِّم بعض الأعمال التي من الممكن لنا - كشعوب - أن نشارك بها قبل أن أذكر الدعاء..

إياك أن تتوقف عن الدعاء لحظة.. إياك تتوقف عنه في كل صلاة, وفي كل سجود, وفي أي سفر, وعند نزول المطر... في كل أوقات الإجابة, والله عز وجل قريب ولا يرد الدعاء إذا جاء من قلب مخلص, وإذا جاء من مؤمن صالح طاهر.

عاشرًا: زرع الأمل في نفوس الأمة..

إذا تسلل الإحباط إلى نفوس المسلمين فالنصر بعيد جدًا،

ونشر هذه الصور يهدف إلى زرع الإحباط في نفـــوس المســـلمين.. وبالتالي التعامل مع الأحداث بسلبية وانهزامية.

نصر الله عز وجل لابد أن يتحقق, والأمل لا يجب أن يموت أبـــدًا في قلوب المؤمنين. الابتلاء في حياة المؤمنين لابد أن يكون.. التعـــذيب والقهر والبطش ليس جديدًا على الأرض: "أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون؟!".. الابتلاء كان على مدار التـــاريخ، ونشاهده في الواقع، وسيكون في المستقبل.. لكننا تعلمنا أنه دائمًا مع العسر يسر, وتعلمنا أنه دائمًا يأتي بعد الليل فجر, وتعلمنا أنه دائمًـــا تقوم أمة الإسلام بعد كل سقوط وبعد كل محنة.

ويجب أن نعلم أن موقفنا اليوم ليس أصـــعب مـــن موقـــف المسلمين في مكة وهم يُعَذَّبون صباح مساء.. ليس أصعب من موقف خباب بن الأرت رضي الله عنه الذي كان يوضع على ظهره الفحـــم الملتهب حتى بقيت الحفر في ظهره، وكان يُكْوَى في رأسه بالنـــار!!.. ومع ذلك عندما ذهب خباب بن الأرت رضي الله عنـــه يشـــكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحال التي وصل إليها, ويقول لـــه إن الألم قد بلغ به المدى: "ألا تدعوا الله لنا؟!.. ألا تستنصـــر لنـــا؟!.." ولمح رسول الله صلى الله عليه وسلم نزعة يأس وإحبـــاط في كـــلام خباب بن الأرت.. فانتفض صلى الله عليه وسلم, وكان متكأ فجلس

وقد احمر وجه من الغضب, وقال – وهو يُعلم خبابًّـــا, ويعلِّمُنـــا أن الطريق طويل لكن في آخره دائمًا نجاحًا وفلاحًا وعزةً وتمكينًا – قال له في ثبات: "كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض, فيُجعَـــل فيه, فيُجاء بالمنشار, فيوضع على رأسه فيُشَق باثنتين.. وما يصده ذلك عن دينه! ويُمَشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب.. وما يصده ذلك عن دينه!!".. لا يزال الطريق طويلاً إذن!

ولكن يُقسم – صلى الله عليه وسلم – (وهو لا يحتاج لقسم ولكن ليزرع هذه الحقيقة في قلوب المؤمنين) ويقول: "والله ليُتِمَنَّ هذا الأمر (أي: ليتمن الله هذا الأمر) حتى يسير الراكب من صـــنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله, والـــذئب علـــى غنمـــه.. ولكـــنكم تستعجلون"..

تخيل.. في هذه الظروف الصعبة يبشره بالنصـــر والـــتمكين والسيادة!! هكذا علمنا رسولنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم..

إن هذا الذي يحدث في السجون العراقية من الممكن أن يكون مقدمة للنصر القادم، لقد زاد التعذيب للمسلمين في مكة قبيل الهجرة، وحُبس رسول الله صلى الله عليه وسلم في شِعب أبي طالب، وأوذي وهو عائد من الطائف، وتآمروا عليه قبل الهجرة، ولكن: "ويمكـــرون ويمكر الله, والله خير الماكرين".

وهذا الأمر ليس خاصًا برسول الله وحده، بل هي سنة الله مع الأنبياءِ والمرسلين جميعًا:

- سيدنا يوسف عليه السلام وُضع في السجن بِضع سنين، ثم خرج ليكون ملكًا عزيزًا مُمَكنًا في الأرض، وهو وضع لا يتخيله أي متفائل..
- سيدنا نوح عليه السلام انتصر في وقت أُغلقت فيه كـــل أبواب الدعوة!
- سيدنا موسى عليه السلام لم يَخرج من الأزمة إلا بعد أن بلغت أقصى درجاتها.. ألم يكن كافيًا ما أحدثه فرعـــون ببني إسرائيل من قتل وتعذيب؟؟ نعم, لم يكن كافيًا!! بل استمر الأمر إلى المطاردة، حتى يغرق فرعون ويأتي نصـــر الله...

يجب أن نتحرك بهذه الروح, وبهذه العزيمة, وبهذه القوة نحن لا نستجدي سلامًا من أحد.. ولا نســـتعطف هيئـــة ولا دولـــة ولا منظمة.. ولا نتسول معونة.. ولا نركع لأحد من البشر.. نحن نصنع مجدنا ونصرنا وعزتنا بأيدينا بعد توفيق الله لنا.. استمع إلى قول الله عز وجل: "قل هل تربَّصون بنا إلا إحدى الحسنيين؟ ونحن نتربص بكم أن

يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيــدينا.. فتربصــوا إنــا معكــم متربصون"..

وختامًا..

أسأل الله عز وجل أن يُعِزَّ الإسلام وينصــر المســلمين, وأن يرزقنا الشهادة في سبيله مُقبلين غير مدبرين..

والله غالب على أمره.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

فستذكرون ما أقول لكم, وأفــوض أمــري إلى الله.. إن الله بصــير بالعباد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.